ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Letters of Ibn Abi Al-Shakhba Al-Asqalani: Prose-Technical Study

Dr. Nour Raad Abdullah

Salah Addin Education Directorate

Prof. Ramadan Saleh Abbad

Tikrit University / College of Education for Girls / Department of Arabic Language
* *Corresponding author: E-mail* :
Noor.rad@st.tu.edu.iq
07705150191

***Keywords*:**
letters
prose
praise
congratulations

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Mar. 2020
Accepted 9 Nov 2020
Available online 2 Mar 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

One of the most important writers of the fifth century AH, al-Hasan ibn Abd al-Samad ibn Abi al-Shakhba, Abu Ali al-Asqalani, died in a prison in Cairo in the year four hundred and eighty-two. He was a prose knight in sermons and inked letters. He is one of skillful poets as Yaqut al-Hamawi mentioned in al-Udaba lexicon, His letters are Ikhwani ones, and he addressed them to his friends, including princes and ministers of his time, and he has a missing letters collection.

The Virtuous Judge was the most famous book of the sixth century AH who preserved his letters, drawing from them what he benefited from his writings, which only a few of their total reached to us and the most one gave examples of his letters was Yaqut al-Hamwi and they indicate the quality of his transmission that dealt with mutual issues between poets and writers, and the writers precede in for prose flexibility and fitting in express what behind the words and the meanings accuracy, depending on a wide culture and an ancient artistic prose heritage.

The study of Ibn Abi al-Shakhba's letters is a serious attempt to find out his method of transmission and his artistic way of expressing his subjects and stating his written intentions and his artistic features in his time, especially in the styles of his Ikhwani messages and his good artistic and aesthetic depiction of them, as the topics he discussed represented letters of praise, satire, admonition, congratulations and description and he relied in his writing method on placement heritage in his letters as well as placement his poetry mixing between them to express his themes, as well as he was interested in the creative and syncretic prose, the style of his writing era, and his arts of alliteration, rhyme, analogy, balance and quotation ... but it was not heavy and ornamental, but rather in a way. It indicates a mastery of writing tools in his time without any prejudice to the meaning. The research will advance by providing an analytical technical study to his letters.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.3.3.2021.13

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

رسائل ابن ابي الشخباء العسقلاني النثرية دراسة موضوعية فنية

م.د . نور رعد عبدالله/ مديرية تربية صلاح الدين

أ.د. رمضان صالح عباد /جامعة تكريت / كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

الخلاصة:

من اهم كتاب القرن الخامس الهجري الحسن بن عبدالصمد بن ابي الشخباء ابو علي العسقلاني مات مقتولاً في سجن بمدينة القاهرة سنة اثنتين وثمانين واربعمائة، كان فارساً من فرسان النثر في الخطب والرسائل المحبرة، وهو احد البلغاء الفصحاء الشعراء إذ ذكر ياقوت الحموي في معجم الادباء ان اكثر رسائله اخوانيات وجهها الى اصدقائه ومنهم امراء ووزراء زمانه وله ديوان رسائل مفقود.

كان القاضي الفاضل اشهر كتاب القرن السادس الهجري حافظاً لرسائله مستمداً منها ما نفعه في مكاتباته التي لم يصل الينا من مجموعها الا القليل وأكثر من أورد أمثلة من رسائله ياقوت الحموي وهي تدل على جودة ترسله التي تناولت الموضوعات المشتركة بين الشعراء والكتّاب ، وتفوق الكتاب فيها لمرونة النثر وطواعيته في التعبير عن مدافن الالفاظ ودقائق المعاني مستندين الى ثقافة عريضة وتراث نثري فني عريق .

ان دراسة رسائل ابن ابي الشخباء هي محاولة جادة للوقوف على اسلوبه في الترسل وطريقته الفنية في التعبير عن موضوعاته وبيان مقاصده الكتابية وسماته الفنية في عصره وبخاصة في طرز رسائله الاخوانية وحسن تصويره الفني والجمالي لها، إذ كانت الموضوعات التي طرقها تمثل رسائل المديح والهجاء والعتاب والتهنئة والوصف واعتمد في طريقة كتابته على توظيف التراث في رسائله فضلاً عن توظيف شعره في ثنياتها مازجاً بينهما في التعبير عن موضوعاته ، وكذلك كان مهتماً بالنثر البديعي المسجع اسلوب عصره الكتابي، وفنونه من جناس وسجع وطباق وتوازن واقتباس... لكنه لم يكن ثقيلاً وزخرفةً وانما يرد بصورة تدل على تمكن من ادوات الكتابة في عصره من غير جور على المعنى وسينهض البحث بتقديم دراسة فنية تحليلية لرسائله .

رسائل ابن ابي الشخباء العسقلاني النثرية دراسة موضوعية فنية

مدخل :

شكل الحكم الفاطمي في مصر نقلة نوعية وحضارية فيما ينهض فيه ديوان الانشاء ، فاهتموا بالمكاتبات وما يحرره ذلك الديوان ، وصرفوا جُلَّ عنايتهم بأولئك الكتَّاب فسما كتَّابهم الى مصافٍ مرتفعة في فن الانشاء حينذاك ، لذلك تنافسوا فيما بينهم محاولين نيل تلك الحظوة وولوج الديوان ، وقد خُلدت لكتاب شكلوا معلماً مهما من معالم الدولة العربية في مصر ، ومن ابرز اولئك الكتاب ابن ابي الشخباء العسقلاني أبرز كتاب عصره ، زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (ت 487هـ) ، وقد حفل سجل كاتبنا على مكاتبات عدة تصب في اغراض عديدة وان كان اغلبها يندرج في جانب الرسائل الاخوانية ، وهناك مكاتبات له تمزج بين السمة الرسمية المشوبه بالجانب العاطفي والاخواني ولاسيما رسائل التهنئة ، إذ فوض للكاتب ان يطلق لمشاعره العنان في تجسيد تلك الرسائل ، ويستشعر روح الود والاخوة التي اذنت لرسوم الصياغة الرسمية ان تأفل او تنحسر ، ليحل محلها رسائل اخوانية وطيدة بينهم ، اما ابرز الاغراض التي كتب فيها ابن ابي الشخباء ، فكانت في التهنئة وفي المديح فضلا عن الهجاء والعتاب وله رسائل ،ايضا في الوصف ، من خلال هذا البحث تطرقنا الى تلك الاغراض جميعا

، وسبقناها بوقفة تعريفية بحياة الكاتب ومكانته ، وعرجنا على ابرز من تأثر بهم العسقلاني واتبع نهجهم 0

بطاقة الكاتب :

هو الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء [1] ، وقيل الحسن بن محمد بن عبد الصمد [2] ، كنى بأبي علي ولقب بالعسقلاني[3] نسبة الى مدينة عسقلان[4] ولقب ايضا بالمجيد ذي الفضيلتين[5] أي فضيلتي الشعر والنثروالاجادة بينهما، رجح ياقوت انه كتب في ديوان الانشاء في مصر زمن الخليفة المستنصر(ت487ه) مُسندا رأيه الى ما وقف عليه في رسائله من اجوبة[6] الى الفساسيري [7]، واتفق المؤرخون على وفاته سنة (482ه)[8] ، إلا إنَ المقريزي خالفهم الرأي مرجحا وفاته سنة (486ه)[9] ، في اجماع على انه توفي مقتولاً بخزانة البنود وهو احد سجون القاهرة [10]0

أسلوبه وطريقته الكتابية

يمثل اسلوب ابن ابي الشخباء ونهجه الكتابي احد نماذج الكتابة في العصر الفاطمي الذي ذاع واشتهر في تلك الحقبة ، غير ان بعض المصادر رجحت ان الكتابة الفاطمية واسلوبها هي امتداد للكتابة في العصر الطولوني ممثلة بزعيمها ابن عبد كان(ت 270ه) "ان هذه الخصال التي عرفت في العصر الفاطمي عرفت في عهد ابن عبد كان ، فلا غرابة اذا قلنا ان اثر ابن عبد كان في كتاب مصركان قويا شديداً وان فنه الذي عرف به في العصر الطولوني قد ظهر واضحا في العصر الفاطمي "[11] وبذلك يكون ابن عبد كان اول من ترك اثرا باسلوب ابن ابي الشخباء ، وينقل ياقوت عن المعيدي (ت433ه) الذي رأس ديوان الانشاء في مصر ، وانه ترك اثراً كتابياً تمثل في الارشاد الى حل المنظوم والهداية الى نظم المنثور ،وانتزاع معاني القرآن وهذا يكشف ميل المعيدي الى تضمين الشعر في رسائله واقتباسه الكثير من القرآن الكريم ، وهما صفتان استمرتا في النثر المصري من بعده ، ثم يخلفه ابو الطاهر النهركي (ت443ه)في توليه لديوان الانشاء في عهد المستنصر ومن ابرز من كتب على يده ابن ابي الشخباء العسقلاني (ت482ه)[12]، وبذلك يمكننا ان نستقرئ تأثر ابن ابي الشخباء العسقلاني في نهجه الكتابي بكلٍّ من المعيدي وابي الطاهر النهركي استنادا الى ما نقله ياقوت الحموي ويذهب الاخير إلى ان ابن الشخباء قد ترك اثره في اسلوب القاضي الفاضل الانشائي قائلا : ((له رسائل مدونة مشهورة قيل ان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني منها استمد وبها اعتَدَّ))[13] ، واستنادا الى ما ذكر يكون ابن ابي الشخباء قد تأثر باسلوب من سبقه وقد اقتفى اثره من جاء بعده من الكتَّاب وابرزهم القاضي الفاضل، وقد عرف عن ابن ابي الشخباء الابداع في جنسي الادب شعره ونثره ، إذ وصفه العماد الاصفهاني في قوله : ((مجيد كنعتِه ، قادرعلى ابتداع الكلام ونحته، له الخطب

البديعة ،والملح الصنيعة))[14] ويذكر العماد انه رأى ديوانه في دمشق عند صديق له ، وقد عزز ما أورده بسلسلة من اشعاره داخل خريدته 0وذكره ابن خلكان بقوله: ((صاحب الخطب المشهورة ، والرسائل المحبرة ، كان من فرسان النثر ، وله فيه اليد الطولى))[15] 0وقال فيه العمري : ((صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبرة ، له لسان لايكف له غرب ، ولا يكل له ضرب ، بحسن ذكي كأنه زجاجة فيها نار ، وحدس ذكي لا يطمس له نار))[16] 0ووصفه الذهبي بأنه اديب وشاعر وناثر[17] 0

اشتهر ابن ابي الشخباء في تمرسه بفني الشعر والنثر كما مر ذكره ، ومدار بحثنا هي مكاتباته النثرية، واقر له القدماء بتركة رسائل ادبية نثرية ليست بالقليلة غير ان يد الضياع والاهمال قد طال جزءا كبيرا منها ، ولم يحتفظ بتلك المكاتبات سوى ابن بسام الشنتريني (ت 542ه) في ذخيرته[18]، وكذلك احتوى معجم الادباء لياقوت الحموي بجزء اخر من تلك المكاتبات[19] ، وهذان المصنفان يحتويات على الجزء الاكبر مما وصل الينا من رسائله النثرية ، ويذهب ياقوت الى ان اغلب رسائله تدور في موضوعات الرسائل الاخوانية ((ان اغلب رسائله إخوانيات وما كتبه عن نفسه الى اصدقائه ووزاء وامراء زمانه))[20] 0

وتعني الرسائل الاخوانية ((الرسائل التي يكتبها صديق الى صديقه في المدح ،او الشكر ، او تهنئة ، او تعزية ، او شوق ، او عتاب ، او اعتذار))[21] ونظراً لموضوعات هذه الرسائل فان ما يجري بين الاصدقاء من علاقات ذات صلة بالاخوان والاقرباء فكثيرا ما تمتزج موضوعاتها بمشاعر الحب والاعتذار ويجتهد الكاتب في اظهار ما تجيش به مشاعره من احاسيس وعواطف [22]ويمكن ان ننعتها بالرسائل الاجتماعية التي تنشد قضية معينة تمس الواقع الاجتماعي للكاتب وعلى الرغم من أن بعض الرسائل تسلك الجانب الرسمي في الافتتاحيات الا ان الطابع الشخصي بما يحمله من اتساع العاطفة وطغيان المشاعر يتجه بتلك المكاتبات الى الانضواء تحت الغطاء الاخواني أوالشخصي إذ ان بعض الرسائل الاخوانية تكون متبادلة بين الرئيس والمرؤوس وبين النظير والنظير[23] ،وسنحاول ان نقف على ابرز الاغراض والموضوعات التي تناولها ابن ابي الشخباء في مكاتباته النثرية ملمين بتلك الموضوعات كاشفين ،أهم الاساليب والصيغ التي توشحت بها تلك الرسائل ، وسنبدأ بأكثرها واشملها وعلى الاتي :-

<u>دراسة موضوعات رسائله</u>

اولاً - التهنئة :

تُعنى رسائل التهاني بالمناسبات السعيدة التي يعيشها الخليفة أو الوالي وهي تختص بالجوانب الاجتماعية في الحياة وقد صنفت ،أحدى "ضروب الكتابة الجليلة النفيسة لما في التهنئة البليغة من الافصاح بقدر النعمة ، والابانة عن موقع الموهبة وتضاعف السرور بالعطية ، واغراضها ومعانيها متشعبة لاتقف عند حد" [24] 0 وتشمل رسائل التهنئة عدة موضوعات منها ، الفتوحات ، إنكسار

الخصم وهزيمته ، والابلال من المرض ، وكذلك يهنأ في اطلاق السراح من السجن [25] ، يكتب مهنئاً ابن المغربي بأحد الفتوح قائلا: "أطال الله بقاء سيدنا الوزير الأجل ما سطع الصبح بعموده ، وهمهم السحاب برعوده، وطلعت في الافق أنجم سعوده :

نعتدَّه ذخر العلا وعتادها ونراه من كرم الزمان وجوده

والدهر يضحك من بشاشة بشره والعيش يطرب من نضارة عوده

فقد ألبس الله الدهر من مناقب الحضرة السامية ما أخرس اللائمة ، وافاض على الكافة من آلائها ما تملك به رق المآثر ، ويعجز عنه كل نظم ونـاثر "[26] يبدأ ابن الشخباء رسالته بالدعاء للوزير ابن المغربي بالبقاء وكأن هذا الدعاء تعبيرا عما يغمره من مشاعر الفرح بالنصر على الاعداء ثم يسترسل في دعائه الذي قرنه بالصياغة الفعلية الدالة على البقاء والاستمرار ، فقد مثلت عبارات (ماسطع الصبح بعموده ، وهمهم السحاب برعوده ،وطلعت في الافق نجم سعوده) دلالة على استمرار الدعاء له بالبقاء ، فضلا عما تحمله الجمل القصيرة المسجوعة من معنى ينشد الفلاح والخير في تكرار لفواصله الثلاثة بضمير الهاء، مما نتج عنه نغما تأنس له أذن المتلقي

أطال الله بقاء سيدنا
- ما سطع الصبح بعموده
- وهمهم السحاب برعوده
- وطلعت أنجم سعوده

ويعزز افتتاحه بما اورده من ابيات شعرية لا تخلو من معنى التعظيم والتبجيل لشخص المقابل والذي مثلته الافعال المضارعه (نعتده ، نراه) بما تتضمنه من معانٍ تصب في الطاعة والولاء لشخص المقابل، فضلا عما يتضمنه البيت من الفاظ استعارها ترمي الى السرور والبشاشة(الدهر يضحك ، والعيش يطرب) إذ تعكس مشاعر الفرح بالانتصار التي تغمرهم نتيجة البشرى بالنصر ، وينتقل في رسالته الى ابراز الحدث واظهار صورته المبجلة وهو يعمل صورة مجازية (البس الله الدهر) مناقب الحضرة السامية -اشارة الى الوزارة المغربية – (ما أخرس اللائمة ،وافاض على الكافة من الائها)وهنا يرسم صورة التبجيل لذلك الانتصار من خلال عرضه لموقفين الاول موقف القلة وهم اللائمة من عارض المعركة ،وقد جعل النصر يخرسهم ، والاخر موقف الكافة وهنا اشارة الى التأييد الواسع الذي حظي به الوزير في تلك المعركة وبالتالي افاضت عليهم النعم ، عاملة من هذا الانتصار حلية تقلدها الدهر ،فهو عمل من حقه ان يسكت كل الافواه الناعقة ، وهذا ما اراده عندما جعل كل الالسن تعجز في ان تعبر عنه شعرا او نثرا ، ويضيف قائلا: "فما تنفك – خلد الله ايامها- تذود عن الدولة برأي صائب ، وحساب قاضب ، يتحاسد عليه الدرع والدراعة ، ويتنافس فيه الصمصامه واليراعه ، والملك بين هذين متين العماد ، مستبحر الثماد000قد كان العبد خدم المجلس السامي بخدمة قصرها على التهنئة بما فتح الله تعالى من الظفر بالعدو الذي اطاع شيطانه ، ومد في مضمار الغي اشطانه ، واتبع ما أسخط الله

وكره ورضوانه ، وجرى الله تعالى على جميل عادته في زلزلة اطواده ، وأستئصال احزابه واجناده الذي غدت الرماح تستسقي مياه نحورهم ، والسيوف تنتهب ودائع صدورهم ، والحمام يجول عليهم كل مجال ، ويستدني عليهم نوازح الاجال "[27] ويسترسل الكاتب في بيان مقدرة الوزير في منازعة الاعداء والانتصار عليهم فيعمل صياغة الدعاء بالبقاء مرة اخرى مقرنا اياه بما قدمه الوزير من دفاع وذود عن دولته زيادة على ما ساقه من جمل قصيرة متوافقة الفواصل بين كل جملتين بما تحمله من جناس ناقص[28] (صائب – قاضب) ، (الدراعة – اليراعة)، (العماد – الثماد) هذا يعمل على تقوية النص وسبكه ، كذلك يحرص الكاتب على تكرار بعض الالفاظ والعبارات وباشتقاقاتها كنوع من انواع الجناس الناقص (الدرع – الدراعة ، شيطان – اشطانه، مجال – اجال) تضفي تكراراً صوتياً مردداً في النص الكتابي ، راسماً صورة بيانية لهزيمة الاعداء بقوله (الرماح تستسقي مياه نحورهم ، السيوف تنهب ودائع صدورهم ،والحمام يجول عليهم) هذه الصور كنايه عن ذبحهم وقتلهم ومن ثم اصبحوا اشلاء متناثره تاكلهم الطيور ، ويحرص الكاتب على توظيف الفنون البلاغية في رسالته التي اضفت اليها تعزيزاً وتعضيداً لاكساب النص الانشائي قيمة جمالية وفنية 0

وفي نص اخر يهنئ اتسيز[29] الغزي في قوله : " وكان ذلك لثمان ساعات مضين من يوم الاثنين في العشر الاخيرمن جمادى الاخرة سنة تسع وستين واربعمائة : ((**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**)) [30] "[31] يؤرخ ابن ابي الشخباء لتاريخ هذه الرسالة بالساعة واليوم والشهر والسنة وهذا دليل على عظمة ذلك اليوم واهميته التي جعلته يدون ادق تفاصيله فضلا عما يضفيه من اهمية الواقعة التي انتظرها الكاتب آن ذاك والتي جعلته يتعايش معها بكل دقيقة ، ثم يفتتح الكاتب كلامه بآية قرآنية جسدت بما تحمله من معنى الحالة النفسية التي عاشها الكاتب وقومه ومدى ثقتهم وايمانهم بالله، وانه حسبهم في تحقيق النصر ، وقد تحقق لهم ما طمحوا اليه قائلاً:

"قد أرتفع بين الكافة ان الله ذخر للدولة الفاطمية – ثبت الله اركانها - من الحضرة العلية المنصورة الجيشوية – خلد الله سلطانها- من حمى سوادها ، ونصر اعلامها ، وضم نشرها ، وحفظ سريرها ومنبرها ، بعد ان كان الاعداء الذين ارتضعوا درَّ إنعامها ، وتوسموا بشرف أيامها ، فطردت يد الاصطناع إملاقهم ، وأثقلت قلائد الاحسان أعناقهم ، 000ففجأتهم الحوادث من كل طريق ، ونعب بهم غراب الشتات والتفريق ، واستباحتهم يد الشدائد فأتى الله بنيانهم من القواعد ، ولم تزل النفوس منذ طرق اتسز بن اوق اللعين هذه البلاد ، وأنجم فيها أنجم الفساد ، وتعدى حدود الله وكلماته ، وتعرض لمساخطته ونقماته ، عالمة بان املاء الحضرة العلية - مد الله ظلهاعلى الكافة- لم يكن عن استعمال رخصة في هذه الحال "[32] ،يستوقفنا ابن ابي الشخباء في رسالته على استعماله لصيغ الدعاء مقترنة بالالقاب المبجلة والمعظمة للدولة الفاطمية وهذا دأبه في رسائل التهنئة والتي تمثلت بقوله : ثبت الله

اركانها (الدولة الفاطمية) ، خلد سلطانها، حمى سواده 000مد الله ظلها ، واستعمالة الالقاب الحضرة العلية ، المنصورة، الجيشوية 0 وقد حرص الكاتب على استعمال اللغة العالية الممتزجة بالتوظيف البديعي ضمن كتابه الانشائي إذ نجده ينوع في فواصله بين الطول والقصر فضلا عن تجانس نهايات حروف الفواصل بين سجع[33] يتناسب والموقف الذي اوردها لأجله فجاءت الفواصل في الضمير : (حمى سوادها، نصر اعلامها ، ضم نشرها ، حفظ سريرها ومنبرها) منتهية بحرف الهاء الممدود متناسبة وصياغة الدعاء الذي اعدت من اجله فضلا عن السجع بحرف الراء ، وهناك فاصلة اخرى يعمل حرف القاف والدال بما يحملاه من صوت قوي جهوري في مواضع الحزم في قوله (فاجأتهم الحوادث من كل طريق ، ونعب بهم غراب الشتات التفريق ، استباحتهم يد الشدائد ، اتى الله بنيانهم بالقواعد 0يعمل حرفي (القاف والدال) في مواضع التبكيت والنيل من الخصم وقد جاء الجانس معضداً للسجع فأعمل الفواصل القصيرة والسجعات الشديدة لتتناسب وقوة الخطب وشدته ثم يعمل تلك الفواصل مدخلاً لحديثه عن – اتسيز- وهو يملي عليه سيل من الصفات غير المحببه بعد ان وصفه بالفساد واللعن في افصاح عن سوء عمله وفعله ، ويعمل صيغ الفعل المضارع المجزوم وقلب زمنه الى الماضي كقوله (لم تزل – لم يكن) ويأتي به بصورة مثبته كقوله(تعدى ، تعرض) وفي كلا الاستعمالين يحمل ما ينال من المقابل والتنديد به وهذه الاختيارات والتوظيفات تعكس مقدرة الكاتب على حسن اختيار الالفاظ ونسجها بصورة تتوافق وغرض النيل من الشخص المعني والذي جعل انكساره عنواناً لرسالة التهنئة التي كتبها ، ولا يبتعد في عرض كل اجزاء الرسالة عما تقدم فقد اثبت الكاتب ان له قلم مطواع قادر على توظيفة وتسخيره قائلاً: "الله المحمود على ما منح الامة من هذه النعمة ، والمسؤول ان يشدَّ ببقاء الحضرة العلية قواعد الاسلام ، يسم بمحامدها أغفال الايام ، ويستخدم لها السيوف والاقلام "[34] ، ويعود الكاتب ليحمد الله سبحانه وتعالى على ما انعم على الدولة الفاطمية من النعم والتي اهلتها لان تصبح اداة تحافظ على الاسلام وقواعده وجاء الفعل (تشد) ايحاء لما تملكه تلك من مقومات الالتزام بقواعد الاسلام وكذلك فانه لايخفي ايحاءه عن الخصم وابتعاده عن الله سبحانه وتعالى فوقع موضع الانكسار والهزيمة خلاف الدولة الفاطمية التي ظفرت بالنصر فيرسم للخصم صورة الملحد الفاسق الذي لايلتزم بحدود الله ونواهيه ، وفي المقابل تظهر الدولة الفاطمية ممثلة برعاياها ومنهم الكاتب بمظهر التقوى والايمان ، وهنا عودة على مضمون الاية القرانية التي أفتتح بها رسالته وان الله قد نصر المؤمنين واثابهم على حسن صنيعهم متناصاً مع الآية القرآنية (اتى بنيانهم من القواعد)0

ثانياً- العتاب :

عندما تحدث جفوة أو هفوة بين طرفين يبادر أحدهما الى ردها معاتباً صديقه بما وقع منه، إذ تدور "رسائل هذا الغرض حول عتاب الكاتب للمخاطب في أمر ساءه منه، فأوجب عتابه له وتتباين صورة المعاتب بين اللين والرقة والقسوة ، حسب نفسية الكاتب وحالته والغرض الذي استثاره" [35] ، وهذه

الرسائل تعبر ، "عن علاقة الافراد ببعضهم البعض ، فالعتاب لايكون الا بين من جمعتهما علاقة مودة وان فَتَرَتْ تلك العلاقة و كانت هناك جفوة او قطيعة إلا إن الحرص على عودة الصداقة ، هو الدافع لكتابة مثل هذه الرسائل" [36] ومن خلال استقرائنا لرسائل ابن ابي الشخباء في العتاب نجد تبايناً بين تلك الرسائل من حيث الرقة والعذوبة والقوة والشدة في تراكيبه، فمن رسائله التي أتشحت عبارات العتاب فيها بالرقة واللين واستشفاف العاطفة نقف على قوله : " لما هجر مولاي مجالسنا في الجامع وأوحشها ، وأطال اليه ظمأ النفوس وعطشها ، وأخلى مكانه من طلعته التي تطلع علينا من السرور ما غرب ، وتؤنسنا بغرائب الانس والطرب ، وتصرف فكري في ما اقتضى ذلك فلم أعثر على أمرٍ عاذر ، ولاظفرت بسبب ناصر ، ذهب وهمي الى انه أستحدث ودوداً ، واستطرف خلاً جديداً "[37] نلمس في هذه القطعة الكتابية سمو لغة العاطفة والتودد المشفوع بعتب الصاحب الى صاحبه بالرغم من ان الكلام موجه الى المولى غير ان الكاتب عاتبه بلغة الصديق والخليل على بعده الذي لم يجد له عذراً غير الهجر وهو ما لم يتقبله الكاتب لما يحمله للمقابل من أثرعزيز في نفسه ، فضلا عن لغة الخطاب الهادئة والرقيقة التي شحنها بالمحسنات البديعية بصورة جلية للعيان ضمن رسالته ، فلجأ الى التكرار بين المترادفات في قوله (الظمأ ، العطش)،(الأنس ،الطرب) وكذلك توظيفه للجناس الاشتقاقي في (طلعته - تطلع ، تؤنس – الأنس ، غرب – الغرائب)والذي لايخلو هو الاخر من صياغة التكرار لما يتركه من تأكيد اهمية أمر الهجر والابتعاد واثره على الكاتب ،فضلا عن عدَّه عاملاً لغوياً يجسد ترابط الحدث واستمراره فيسهم في سبك اواصر النص وتجانسه ، ويتنقل الكاتب في رسالته بين الافعال الماضية والمضارعة وهو يصف حالة البعاد والفراق التي وقعت بينهما فيعمل الافعال(هجر – اطال – أخلى) فالدلالة الزمنية للافعال الماضية تعطي تأكيدا لحدوث الفعل وهو ما اراده من تاكيد أمر الهجر والقطيعة مع المقابل ، فيما جاءت الافعال المضارعة (تطلع – تؤنسنا – تصرف)بما تحمله من دلالة التجديد والاستمرار للأفصاح عن سمو العلاقة وتجددها التي كانت قائمة بين الاثنين، ثم يعمل صياغة التوكيد مع الافعال المضارع في جزم منه ان صاحبه قد وجد غيره (انه استحدث ودودا) إذ حققت إنَّ مع اسمها وخبرها الجملة الفعلية تؤكد حالة التتبع والتقصي التي يتبعها الكاتب لمعرفة اخبار صاحبه ، وأخيراً يكشف عن مدى الامتعاض والالم التي يعيشه الكاتب اثر الهجر والابتعاد 0

ويوظف ابن ابي الشخباء لغة الحزم والقوة في بعض رسائله في العتاب، إذ نلمس لغة قوية تنال من المخاطب وتنكر ما اقدم عليه يقول : " رأيتُ فلاناً عند نظرته لي بالامس قد قطب حاجبه ، وزعزع مناكبه ، فقلت ما له ؟ أأنزل اليه وحي ، أم عصب به أمر ونهي ، أم حَصُلَ من الخلافة على وعد، أم أنسيء له الاجل مدة العهد ، أم قلَّ عقله فعق نفسه وظلمها ، وجهل مقادير الاشياء وقيمها "[38] تتسم لغة الخطاب بالقوة والشدة ولاسيما بعد ان اقدم على استقراء ملامح وجه المخاطب والتي تمثلت بالالفاظ (قطب حاجبه – زعزع منكبه) افعال وملامح استقرأها الكاتب افصحت عن نوع من الجفاء والامتعاض

بين الاثنين ، فضلا عما ساقه من افعال ماضية (قلَّ عقله – عق نفسه- ظلم – جهل) بدلالة زمنية تدل على الثبوت والبقاء بما تحمله من معاني النيل من المقابل والتبكيت به ،وتعكس مدى الامتعاض والغضب الذي يحمله الكاتب عليه، ويحرص الكاتب على توظيف الاستفهام التصوري مع أم المعادلة وتكرارها بالعطف (أ أنزل به وحي ، ام عصب به أمر ، أم حصل من الخلافة..) في الكشف عن حالة الحيرة المسيطرة عليه تجاه المخاطب ، كذلك يعمل الكاتب الفقرات القصيرة بما تحمله من وقع شديد على المتلق والتوافق في فواصلها في كتابه الانشائي وكأنه يحاول ان يعبر عن انكاره فعل المخاطب واستهجانه فجاءت الفواصل (قطب حاجبه – زعزع مناكبه - ذيل كمه ، نزل به وحي – عصب به امر ونهي) فحرف الهاء المنتهية به الفقرات القصيرة وحرف الياء قد تركا وقعاً قوياً على أذن المتلقي 0

يمتزج العتب مع العظة والنصح في بعض رسائل ابن ابي الشخباء مثل رسالته التي وجهها الى احد الولاة بعد ان رفض الاخير دعوة بعض اصحابه وتفضيل مجلس الانس والطرب واللهو على مجلسهم يقول ابن الشخباء : " عجبت لمولاي كيف أسند في التخلف الى عذر هلهال ، وسلك طريقاً صعبة المجال ، وجعل المانع له من الحضور أمراً يقوي على الهموم ، ويقوت النفوس فكيف الجسوم ، ... فأن يك ذلك لدين وثيق ،وخلق بالتقوى خليق ، فما بلغ مولاي من حفظ الشريعة الى هذه الرتبة ، ولا وضع قدره بعد هذه الهضبة "[39] يحمل كتاب ابن ابي الشخباء لغة العتب الممزوج بالنصح والارشاد ، وكأنه يرغب في تعديل مسار احد ولاة الدولة الفاطمية وقد لجأ الى هذا الكتاب استنادا الى احد المنطلقين الاول قد يكون هذا الوالي صاحبه وحرصه الشديد عليه قد دفعه الى هذا الامر ، والثاني حرصه على الدولة والممثلة بأحد ولاتها مادفع به الى الخطاب المذكور ، للوالي بما لم يرتضه له ابن الشخباء ، فلذلك يحرص على ايداع رسالته الالفاظ والعبارات القوية والشديدة التي لاتخلو من استنكاره واستهجانه لفعل المخاطب ، مستعملاً التعجب من فعل المخاطب بلفظ (عجبتُ) وكذلك استعماله الفاظ تنكر عمله (التخلف ، صعبة، هموم) ، فضلا عما اضفته الافعال(اسند ، سلك ، جعل)التي تنسب الى المخاطب في ابراز ذلك الفعل وتاكيدا له ، واعماله لصياغة الجناس الناقص (خلق – خليق) وتكرار حرف القاف الذي افاد القلق والاضطراب، محاولا اعادة رشده اليه عندما اورد الفاظ (التقوى ، الشريعة) للتذكرة والعظة 0

ثالثاً: المـــدح :

صنف القلقشندي غرض المديح ضمن اغراض الرسائل الاخوانية[40]، وضرب له بسهم وافر في صوره وموضوعاته ، وتدور أغلب رسائل المديح في الاشادة بالصفات الحسنة والحميدة التي يتسم بها الممدوح كالشجاعة ، والورع ، والتقوى ، وحب الناس ، والاقدام ، وفي صدى رسائل ابن ابي الشخباء نجده يوجه مديحه الى شخص الخليفة المستنصر(ت487هـ) ووزرائه حينذاك ، فيقول في احدى

مكاتباته: " من كرم الله وجزيل اسعافه ، وجميل صنعه والطافه ، أن جعل سيدنا كالنجوم تغيب ثم ترتفع في غدٍ سمتها ، أو كملكة الشطرنج يقال: قد فاضت ثم تعيش لوقتها ؛وقضي لحضرته بأن تزول الخطوب عنها زليل التراب عن متن الصفا ، وتتحامل النوائب في هبوطها وطلوعها "[41] يعمل الكاتب على اسباغ صفات المدح للمخاطب بالثناء على الذات الالهية التي منحته تلك الحظوة والمكانة ، مما يعطي اقراراً وتأكيداً لمنزلة سامية يتبوؤها الممدوح فجاءت عبارات (من كرم الله – جزيل اسعافه – جميل صنعه – الطافه) تفصح عن كرم الله سبحانه وتعالى في سمو منزلة الممدوح وجعله مثل النجوم في السماء ، إذ جاء بالصور البيانية التشبيهية في جعل الممدوح مثل النجوم في الارتفاع ، ومثل ملكة الشطرنج التي لايمكن ان تغيب عن جمعها ، فضلا عما تضمنته من صياغة الطباق[42] بين الفاظ(تغيب – ترتفع ، فاضت – عاشت ، هبوط – طلوع) في ابراز لمكانة الممدوح وتسليط الضوء على ما يمتلكه من منزلة كبيرة لايمكن ان يشغلها غيره داعياً ان تزول الخطوب عن دولته مثلما يزول التراب عن صلد الصخور.

ويقول في كتاب اخر مادحاً: " ما زال يختار الزمان ملوكه حتى اصاب المصطفى المتخيرا 000 فلا برحت الحضرة –حرس الله ايامها- تفتر عن مباسمها الحسان ، وتفتخر بمناقبها قبائل غسان ، فلو شاهد أهل الجفنة جفانها ، وأهل جبلة بن الايهم ضرابها وطعانها لعلموا ، ان الله اتاح السماحة والبسالة ملكا منهم يحفظ ما ضيعه الناس من عهود ... فما يزيد المدح مناقبه ضياء ، ولا مراتبه اعتلاء ، وانما هو كالمسك يطيب نفسه طبعاً ، ويزيد المجامر تضوعاً ونثراً"[43] يتضمن كتاب ابن ابي الشخباء الترسلي وظيفة مرجعية تحيل الذاكرة الى بعض الرموز والشخصيات التاريخية التي جعل الكاتب ممدوحه يتأصل بسماتهم اليهم وينتهج نهجهم فيبدأ رسالته ببيت شعري يشير فيه الى سيد الأنام رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في اشارة الى ان ممدوحه من سلف الحضرة الهاشمية ، ثم يُعَرِج على اسماء ابرز قبائل العرب (غسان – اهل الجفنة[44] –جبلة بن الايهم) التي عرفت بالكرم والشجاعة ليعكس كرم الممدوح وشجاعته التي تأصلت به من سلفه لذلك فهو ليس بحاجة الى هذا الاطراء وما اقدامه عليه الا للزينة، وقد حرص الكاتب على توظيفه للشعر في رسالته (ما زال الزمان يختار ملوكه)ليعزز شاهده وكذلك استعماله الفواصل المتوافقة من حيث الطول وتوافق بعض الفواصل في حروفها التي أعطت قوة لطرحه وتعزيزا للشواهد التي ساقها 0فضلا عما اضفته صياغة التشبيه مع ابرازه لوجه الشبه (كالمسك – يطيب / المجامر – نثر) تاكيد لصفات الممدوح 0

ويقول في مدح الدولة الفاطمية " أطال الله بقاء الحضرة السامية ، معمورة بوفود السعادة ديارها ، مشدودة الى انساع العير واكوارها[45] ، مفلولة عنها انياب النوب واظفارها ، ولازال من مد الظل ولو شاء ساكناً ، يمد عليها الظل ماسرى في الليل سفر ،وطلع في السماء غفر ، وخرج عن ايدي الكرام

وفر"[46] كما معهود على ابن الشخباء يفتتح رسالته بالدعاء والذي وجهه الى الدولة الفاطمية واصفا اياها بالحضرة السامية ، ثم يسترسل في تشخيص النعم التي اسبغت على تلك الدولة المتمثلة بعبارات (معمورة ديارها، مشدودة اقواتها) في اشارة الى نعم الله سبحانه وتعالى وكرمه على تلك الدولة ، ويحرص الكاتب على توظيف الشاهد الشعري و القرآني في كتابه ، فيحسن سبكه وتوليفه داخل رسالته معززاً كلامه بما يرمي اليه من مديح لهذه الدولة، إذ يشير الى قول ابو ذؤيب الهذلي إذ المنية انشبت أظفارها[47] ،في قوله (مفلولة عنها انياب النوب وأظفاره) في اشارة الى غياب شبح الموت والحروب عن تلك الدولة ، وكذلك يعمد الى اقتباس الشاهد القرآني في حديثه عن نعم الله سبحانه وتعالى فائلا (لازال من مد الظل لو شاء ساكنا) إشارةٍ الى قول الله سبحانه وتعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا)) [48] ، وكذلك يحرص على اختيار الفواصل القصيرة المتوافقة في حديثه ليلقي اثره على المتلقي فضلا عما حملته تلك الفواصل من توافق في نهاياتها واسجاعها (ما سرى في الليل سفر ، وطلع في السماء غفر،وخرج عن ايدي الكرام وفر) اشارة الى كرم الدولة ووفرة عطائها فهي تبذل العطاء وتسبغه كطلوع الظل وانتشاره وجاءت الجمل الفعلية دليلاً على استمرار ذلك العطاء وعدم نضبه 0

رابعاً: <u>الـــهـجـــاء</u> :

صنف الهجاء في مدونة القلشندي ضمن اغراض الرسائل الاخوانية [49]، وقد يلجأ اليه الكاتب للتعبير عما يسجله من مثلبة او منقصة في المقابل ، و لابن ابي الشخباء هذا الغرض بعض رسائله وخاصة تلك الرسائل التي اراد بها الانتقاص من بعض القبائل ، التي رفضت الانصياع لأوامر الخليفة المستنصر ولاسيما اوامر لوائه الحمداني فوجه يراعه هاجياً قاذعاً لها ، وقد ذكر الحادثة في معرض رسالته فيقول : " معلوم ان الله تعالى قد يأذن للنعم إذا خصت بالشكر ان تستدني البعيد القصي ، وتستأنس النافر الوحشي ، إذا قرنت بالكفران يرحل منها القاطن ، وتستوحش المعاطن ؛ ووصل إليَّ ما كان منكم من الانحراف عن الحضرة السامية والتظاهر بالخلاف عليها ، فتحققت ان الشيطان قد أعمل فيكم كيده ، وأستنفذ في إخلافكم قوته ويده "[50] يفتتح ابن ابي الشخباء كتابه الترسلي في إثارته للوازع الديني عندما يجعله مقياساً لكسب رضا الله او الخروج عن ذلك الرضا من خلال ما تقدمه القبائل من مراسيم الولاء والطاعة للوالي او الخليفة من عدمه ، ويسلك الكاتب الالفاظ ذات الدلالة المؤثرة (الكفر ، الوحشة ، الانحراف ، الضلال) مقترنة بتصرف تلك القبائل والخروج عن امرة الوالي بأنه من عمل الشيطان ، فلازال الكاتب يخاطب النفس المسلمة التي تتأثر بحكم اتباعها نهج الكفار ، غير ان لغة الخطاب تأخذ طابعا أشد قوة وابعد أثرا عندما يلجأ الكاتب الى لغة التهديد والوعيد فيقول : " جمعت الحضرة شتيتكم ، ووصلت مبتوتكم ، فليت شعري ما الذي سولته لكم اوهامكم وحدثتكم به أحلامكم !وأيم الله لئن انقلبتم على الجانب الناصري ، وانحرفتم عن اللواء الحمداني ، لتصبحن أكلة للعرب يحطون أعلامكم ،

ويزلزلون أقدامكم "[51] تشتد لغة الخطاب لتصل الى ذكر المثالب في قوله (فجمعت شتيتكم ، ووصلت مبتوركم) فضلا لما تحمله العبارة من صياغة الطباق الذي يعمل على ابرازالفعل ويؤكده ، ثم ينتقل النصياغة التهديد والوعيد والمتمثل بعبارة القسم والشرط وفعل الشرط وجواب القسم المؤكد باللام الموطئة له0

أيم الله ⟵ قسم ، لئن انقلبتم وانحرفتم ⟵ فعل شرط

لتصبحن أكلة للعرب ⟵ جواب القسم ، النتيجة (سوف تؤكلون ، تحطون ،تزلزل اقدامكم)

وكذلك يستعمل الكاتب صياغة الطباق لتعميق المعنى وتوضيحه بين (جمع – شتات ، وصل - بتر) لابراز مثالب القبائل علاوة على استعماله الفعل (يزلزلون) بصياغة الجمع في إشارة الى قوة ذلك اللواء وشدته فضلا عما تتضمنه من اقتباس قرآني لفعل، والزلزلة[52] والتي تلقي الرهيبة في نفوس الخارجين0

وله هجاء في احد ولاة بغداد: " أنبئت – اطال الله بقاء مولاي – بشيء انا فيه مكذوب ومصدق ، ومدافع ومحقق ، عرفت ان هذا الراقص البغدادي قد رفض مودته خلفا ، وسلك به من الخلافة عسفا ، فوصله وهجر ديوانه ، وارضاه واسخط خلانه ، واستبدل فيه مصونا من قدره ، واستذل عزيزا من تاتيه وبره ... فوجدت والله من إشناعة هذه الحال ما يجده الخائف غابة واقية ، والسليم عدم طبيبه وراقيه ، خوفا على جاه مولاي ان يميل ، ويشنع فيه القال والقيل"[53] 0

يبدو ان هذا الكتاب كتبه ابن الشخباء الى المستنصر يخبره فيه باخلال احد الولاة في بغداد عن وعوده للخليفة الفاطمي وقد اعتمد الكاتب على الوصف المقذع في نعت البغدادي فيطلق عليه لقب (الراقص البغدادي) وهنا اشارة الى نكث وعده وتلونه بحسب الظروف الملائمة له فاخرجه كحال الراقص الذي يطرب في أي مكان ، ويعتمد ابن الشخباء على نقل الخبر بصياغتين الاولى ترجيحية بين شك ويقين وهذا ما دلت علية الفاظه (انبئت بين صيغتي مكذوب ومصدق ومدافع ومحقق)، اشارة الى فداحة الامر واهميته ، ثم يعزز ما وصل اليه عندما يستعمل مؤكدات تدل على صحة ماوصله فجاء بالفاظ (عرفت ، ان هذا ، قد رفض ، وسلك به) وعرفت من المعرفة دون التنبأ فضلا عن استعمال المؤكدات ، إن ، قد مع الفعل الماض ، كلها تؤكد ذلك الفعل ، وأخيراً يصبح الشخص موضع اتهام وتحقير من الخليفة وكاتبه ليوجه اليه لسانه المقذع فيخرجه مخرج المتلون فيعمل صيغ الطباق في ثنائية (الكذب – والصدق) للافصاح عن ذلك الخداع وقد تجلى ذلك في ما ساقه من حشد لالفاظ (مودة – تعسف ، وصل – هجر ، ارضى- اسخط ، استذل – عزيز) لتنبثق من ثنائية الصدق والكذب عدة ثنائيات قائمة على التضاد ، وهذه الثنائيات اكثر قوة في الكشف عن المعنى في سلوك المقابل واخراجه مخرج الشخص الماكر والمخادع ، وهذا التناقض في فعله وعمله كان مدعاة للخوف من التسليم له فتنبثق من الشناعة فيه حيطة وحذر على الخائف وعلى السليم بل الخوف حتى على الخليفة وديوانه من (ما يجده

الخائف غابة واقية ، والسليم عدم طبيبه وراقيه ، خوفا على جاه مولاي ان يميل ، ويشنع فيه القال والقيل)، وهنا فضح لهذا الشخص لأنه ليس محل أمان وان الابتعاد عنه هو الخيار الافضل وقد احسن الكاتب التوظيف البلاغي في ابراز مأخذه البغدادي والنيل منه دفاعا عن الخليفة ودولته 0

5- الوصف :

يعد الوصف أحد الأغراض الأساسية في الشعر العربي والشعر كله راجع الى باب الوصف ، وقد فطر الشاعر العربي القديم عليه فلا يخلو ديوان شاعر هذا الغرض ، وتعددت موضوعات الوصف فوصفوا الليل ، والخمرة، ووصف الحيوان ، والمطر وغيرها ، وقد استعار كثيراً من الادباء الكتاب الاغراض الشعرية في مكاتباتهم النثرية والتفت النقاد الى ذلك بقولهم " ان سائر اغراض الرسائل الاخوانية كتبت في اغراض متنوعة تناولت موضوعات الشعر "[54] وهناك من يرجح ان يكون الوصف قد انتقل الى النثر عن طريق المقامات[55]، ومن خلال تقفينا اثر مكاتبات ابن ابي الشخباء نجد ان غرض الوصف قد سجل حضورا بين تلك الاغراض ، ووقفنا له على وصف للخمرة ، وأخر للزمان ، وكذلك وصف لشهر رمضان وغيرها 0 ومن رسائل وصفه لشهر رمضان قوله : " شهر الصيام ذو فضلٍ مشهور ، ورتبته علت جميع الايام والشهور ، فما تنتهك للشرع فيه حرمات ، ولا تسمع للأوتار نغمات ، ولا تنطق باللغو أفواه ، ولاترشف رضاب الكؤوس شفاه ،وإذا اعتبرت أوقات الحضرة المنصورة ، وجد أكثرها على هذه الصفة المذكورة ،إلا إن الشهر اختصه الله بشرف القضية ،وفرض صيامه على جميع البرية"[56] 0

يبدأ ابن الشخباء رسالته ببيان فضل هذا الشهر الكريم فيفضله على غيره من الايام والشهور ، ويعلي رتبته بينها ، ثم يعرج على المباح والممنوع في هذا الشهر فيعرض لسلسلة نواهٍ أوجبها الله سبحانه وتعالى على عباده ، ورسالته تؤكد على اتباعه لقواعد هذا الشهر في قوله (ما تنتهك للشرع فيه حرمات) ونجده يبدأ بالمجمل وينتقل الى الجزئيات فيشرع في بيان المحرمات وقد فصلها (بالغناء ، واللغو، والخمرة، ليثبت قدسية الشهر ومنزلته ،وقد اعطى اسلوب النفي الذي حرص الكاتب على توظيفه في رسالته وقعا اقوى في تشخيص المحرمات في هذا الشهر فحملت الافعال المضارعة الدالة على الحال والاستمرارالمنفية بالاداة (لا) ادق اثر في بيان تلك المحرمات (لا تسمع للاوتار نغمات،لا تنطق باللغو أفواه، لا ترشف رضاب الكؤوس شفاه) ، وكذلك استعماله لاسلوب القصرمع التوكيد (إلا+ إن) المسبوق بصيغتي النفي والاثبات (إلاّ أن الشهر اختصه الله...) اثبت قدسية هذا الشهر وحرمته وفرض صيامه ،وإزالة اي شك يمكن ان يساور القارئ والمتلقي حول قدسية هذا الشهر وحرمته بين الشهور0

ويعتمد الكاتب على الفقرات القصيرة مؤثرا ما تتركه من وقع واثر على المتلقي فجاءت فواصل الرسالة مسجوعة ومتوافقة في نهاية كل فاصلتين ، (مشهور – شهور ، حرمات – نغمات ، افواه – شفاه ، المنصورة - المذكورة) خلق الكاتب من خلالها وقعا موسيقيا ناتجاً من التوافق بين حروف نهاية كل فاصلتين مع التشابه (السجعه) والصيغة الصرفية الموزونة فيما بينها مما شكل بعدا تصوريا لهذا الوصف لا يخلو من نغما موسيقيا مؤثرًا على سمع المتلقي 0

ويقول في وصف الخمرة : " قد أرتشفت الخمرة فوجدتها مرارة تذم ولاتحمد ، وتثير كامن الحزن والكمد ، وتصفحت الندام فعدمت منهم انساً عن الناظر دون الخاطر ،وعدم تلك المحامد والمأثر ، فأما الماء فالله يعلم اني اتجرعه ولا أكاد اسبغه شوقاً الى تلك الخلال التي هي أنقى منه أديما ، وأرق نسيما، وأمسك للنفوس رمقاً"[57] 0نستقرئ من كلامه تفضيلاً للخمرة على الماء وقد عكست صياغة كل من الفعلين (ارتشف الخمرة ، واتجرع الماء) ذلك التفضيل فالارتشاف يعكس لذة المشروب واستساغته أما التجرع فهو الاقدام على الشرب لكن بجرعات للاضطرار وعلى الرغم من تلك اللذة التي اتصلت بها الخمرة إلا إنَّ الكاتب يسرد مساوئ الخمرة ومأخذها فهي (تذم ولا تحمد، تثير الحزن والكمد) استعماله للوصف في صيغتين متشابهة مثبته ومنفية دالة على المعنى نفسه ويعطي تكراره للوصف وتأكيده في اظهار مساوئ الخمرة ، ولم يكتف بوصف الخمرة بل يصف ندمائها بقوله (تصفحت الندام) في اشارة الى انه قد اطلع على اكثر من نديم للخمرة غير انه عدم منهم ما يؤنسه ، وعدم ما يحمده (عدمت مايؤنس الناظر دون الخاطر ، وعدم تلك المحامد والمأثر) تكراره لفعل العدمية مرتين مرتهن مع ما نسب اليه ان يخرج الخمرة وسيلة للهو والأنس ليس إلا ، ويتحول من وصفها الى وصفه للماء فيخرج تناوله الى المضطر (فأما الماء فالله يعلم اني اتجرعه ولا اكاد اسبغه) ، ويستمر في عقد مقارنته بين الخمرة والماء (الخمرة انقى اديما وارق نسيما وامسك للنفوس رمقا) موظفاً التفضيل (انقى ، ارق ، امسك) للخمرة ورسم صورة حسنة لها فكان تجريده للماء من كل مسوغات اللذة والحسن غير ان الكاتب لم يبتعد عنه ويتناوله بالرغم من اشتياقه للخمرة في أشارة الى اهمية الماء ،فهو سر الحياة ، ولا يمكن الاستغناء عنه ، ويعمل مالا تعمله الخمرة .

ولم نقف لابن ابي الشخباء على أغراض بارزة في مكاتباته وتبين انه كاتبٌ بارعٌ استطاع ان يسخر قلمه في خدمة الدولة الفاطمية وتحديدا في زمن المستنصر ، فزخرت مكاتباته ر بالرسائل الاخوانية التي تفصح عن توطيد العلاقة وسموها بين الكاتب ومرؤوسه وهذاعينه ما جسدته تلك المكاتبات ، التي شكل فيها أسلوب الدعاء سمة بارزة ضمن تلك المكاتبات فضلا عن استعماله النعوت والصفات والالقاب في مخاطبة مرؤسيه ، وكذلك استوقفنا في رسائل ابن الشخباء استعماله للمحسنات البديعية من طباق، وجناس وسجع ، وصور بيانية ، وتضمينه من الشعر بصورة واسعه سواء من اشعاره او اشعار غيره من الشعراء تارة بصورة مباشرة واخرى يكتفي بالاشارة والتلميح زيادة على الاقتباس من القرأن الكريم

الذي يعضد افتتاحيات مكاتباته ومتنها بصورة نصية واخرى فيها الماحات الى الآيات القرآنية في مكاتباته، فضلا عن حرصه على التوازن و توافق الفواصل وانسجامها وهذا اشارة الى اثرها في نفس المتلقي وبهذا نطمح أننا قدمنا صورة تقريبية لعلم من أعلام كتاب القرن الخامس الهجري الذين رفدوا النثر العربي بأبداعات انشائية أسهمت في إرساء دعائم الدولة مثلما شاركت في تطور النثر وأساليبه .

هوامش البحث ومصادره

1- ينظر : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،شمس الدين ابن خلكان (ت 681ه) ،تحقيق احسان عباس ، دار صادر، بيروت ، 1994م : 89/2

2- ينظر : الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، (ت764ه)، تحقيق احمد الارناؤوط ، تركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ،2000م: 44/12

3- ينظر : وفيات الاعيان : 89/2-91

4- نسبة الى عسقلان وهي مدينة في الشام ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت 626ه)، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1995م .

5- ينظر : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ابو الحسن بن بسام الشنتريني ،(ت 542ه) ، تحقيق احسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ،ط8 ، 2008م : 627/8

6- ينظر : معجم الادباء ، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، شهاب الدين بن ياقوت الحموي (ت 626ه) ، تحقيق احسان عباس ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1، 1993م : 999/3-1000

7- الفساسيري : ويقال البساسيري ، ارسلان بن عبدالله ابو الحارث البساسيري ،قائد تركي الاصل توفي سنة (451ه) . ينظر : الاعلام ، الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط15،2002م : 288/1-289 .

8- ينظر : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : 627/8، معجم الادباء :999/3-1000 ، وفيات الاعيان : 89/2-91

9- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، علي بن تقي الدين المقريزي (ت 845ه) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1418م : 328/2

10- ينظر : وفيات الاعيان : 91/2

11- في ادب مصر الفاطمية ، محمد حسين كمال ، مؤسسة هنداوي ، مصر ، 2012م : 339

12- ينظر : معجم الادباء : 3349/5

13- م. ن: 999/3

14- خريدة القصر وجريدة العصر – قسم الشعراء العسقلانيين- العماد الاصبهاني ،الكاتب (ت 597ه) ، تحقيق احمد امين ، شوقي ضيف ، طبعة جديدة مصورة عن طبعة 1951، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 2005م : 253/1

15- وفيات الاعيان : 89/2

16- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، احمد بن يحيى بن فضل الله العمري ،(ت749ه)، المجمع الثقافي ، ابو ضبي ، ط1، 1423م: 135/12

17- ينظر : سير اعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي (ت 748ه) ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط11، 1996م : 81/14

18- الذخيرة : 627/8-653

19- معجم الادباء : 3/ -10091000

20- م 0 ن : 1000/3

21- ينظر : الادب في بلاد الشام عصر الزنكيين والايوبيين والمماليك ، عمر موسى باشا ، المكتبة العباسية ، دمشق ، ط2، د0ت : 31

22- ينظر : م 0 ن : 75

23- ينظر : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، احمد بن علي بن احمد القلقشندي (ت 821ه) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3، 1987م : 3/9

24- م0 ن : 5/9، مواد البيان ، علي بن خلف الكاتب (ت 437ه) تحقيق حسين عبداللطيف ، منشورات جامعة الفاتح ، طرابلس ، 1882م : 589

25- ينظر : الذخيرة : 640/8 ، 653/8

26- معجم الادباء : 1007/3

27- م0ن : والصفحة

28- الجناس الناقص : هو اختلاف اللفظان في احد الحروف في العدد او الهيئة او النوع او الشكل ، ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ،1984م : 138 .

29- آتسز :احد امراء ألب ارسلان ، عرف عنه التعسف والتمرد 0 ينظر : سير اعلام النبلاء : 191-190/15

30- ال عمران : 174-173

31- معجم الادباء :1004/3

32- م0ن : 1005/3

33- السجع : اتفاق الفاصلتين في الحرف الاخير ، والفاصلة في الكلمة الاخيرة في كل فقرة 0 ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : 197 .

34- معجم الادباء : 1005/3

35- أدب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري ، فايز عبد النبي فلاح القيسي ، ط1 ، دار البشير ، الاردن ، 1989م :101

36- نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي656ه ، نبيل خالد ابو رباح ،اشراف محمد زغلول سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1993م : 279

37- الذخيرة : 634/8

38- م 0 ن : 630/8

39- م 0 ن : 633/8

40- ينظر : صبح الاعشى : 326/2

41- م0ن : 653/8

42- الطباق : الجمع بين الضدين او المعنيين المتقابلين في الجملة والضدان اما اسمان او فعلان او حرفان 0 ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : 232 .

43- الذخيرة : 560/5

44- أهل الجفنة اراد بهم الغساسنة، ينظر الذخيرة : 560/8 هامش : 5

45- انساع العير واكوارها : يراد بها حمل الابل واثقالها 0 ينظر : المعجم الوسيط ، ابراهيم انيس ، مجمع اللغة العربية ، 2004م:4220

46- الذخيرة : 645/8

47- ديوان ابي الذؤيب الهذلي ، تحقيق احمد الشيال ، مركز الدراسات والبحوث بور سعيد، ط1، 2014 : 49

48- الفرقان : 45

49- صبح الاعشى : 3/9

50- الذخيرة : 638/8

51- م 0 ن : 639/8

52- "إذا زلزلت الارض زلزالها " : الزلزلة : 1

53- الذخيرة : 648/8

54- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، احمد بدوي ، ط1 ،مكتبة نهضة مصر ، القاهرة : 213

55- ينظر : فن المقامة ، حسن عباس ، دار المعارف ، الاسكندرية ، 1986م : 234

56- الذخيرة : 646/8

57- م 0ن : 635/8

References

1. Literature of letters in Andalusia in the fifth century AH, Fayez Abdul Nabi Falah Al-Qaisi, 1st Edition, Dar Al-Bashir, Jordan, 1989 AD.
2. Literature in the Levant, the era of the Zankites, the Ayyubids and the Mamluks, Omar Musa Pasha, the Abbasid Library, Damascus, 2 ed., D T.
3. Al-Media, Al-Zarkali, House of Science for the Millions, 15th Edition, 2002 AD.
4. Ammunition in the Benefits of the People of Al-Jazira, Abu Al-Hassan Bin Bassam Al-Shantryni, (d.542 AH), edited by Ihssan Abbas, Arab Book House, Libya, 8th Edition, 2008 AD.
5. Literary life in the era of the Crusades in Egypt and the Levant, Ahmad Badawi, 1st Edition, Nahdet Misr Library, Cairo.
6. The diwan of Abu Al-Dhuhaib Al-Hadhili, verified by Ahmad Al-Shayal, Center for Studies and Research in Port Said, 1st Edition.
7. Biography of the Notables of the Nobles: Shams al-Din Muhammad Ibn Uthman al-Dhahabi (d.748 AH), edited by Bashar Awad Maarouf, The Resala Foundation, Beirut, 11th Edition, 1996 AD.
8. Subuh Al-Asha in the construction industry, Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Qalqashandi (d.821 AH), verified by Muhammad Husayn Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 3rd Edition, 1987 AD.
9. Al-Imad Al-Asbahani, the writer (d.597 AH), edited by Ahmed Amin, Shawqi Dhaif, a new illustrated edition of the 1951 edition, National Library and Archives, Cairo, 2005 AD
10. The Art of Residence, Hassan Abbas, Dar Al Maaref, Alexandria, 1986 AD.
11. In Fatimid Egypt Literature, Muhammad Hussein Kamal, The Hindawi Foundation, Egypt, 2012 AD.
12. Pathways of Sight in the Kingdoms of the Americas, Ahmed bin Yahya bin Fadlallah Al-Omari, (d. 749 AH), the Cultural Foundation, Abu Dhabi, 1st Edition, 1423 AD.

13. The Literature Dictionary, Guiding Al-Arib to Know the Writer, Shihab al-Din Ibn Yaqut al-Hamwi (d.626 AH), Ihssan Abbas, Dar al-Maghrib al-Islami, Beirut, 1st Edition, 1993 AD
14. Al-Buldan Dictionary, Yaqout Al-Hamwi (d.626 AH), Dar Sader, Beirut, 2nd Edition, 1995 AD.
15. Glossary of Arabic Terms in Language and Literature, Magdy Wahba, Kamel Al-Muhandis, Lebanon Library, Beirut, 2nd Edition, 1984 AD.
16. The Median Lexicon, Ibrahim Anis, The Arabic Language Academy, 2004 AD.
17. Articles of the statement, Ali bin Khalaf al-Katib (d. 437 AH), edited by Hussein Abd al-Latif, Al-Fateh University Publications, Tripoli, 1882 .
18. Sermons and consideration by mentioning plans and effects, Ali bin Taqi al-Din al-Maqrizi (d.845 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 1418 AD.
19. Prose criticism in the Arab critical heritage until the end of the Abbasid era 656 AH, Nabil Khaled Abu Rabah, supervised by Muhammad Zaghloul Salam, Egyptian General Book Authority, Cairo 1993 AD.
20. Al-Wafi of Deaths, Salah Al-Din Al-Safadi, (d.764 AH), verified by Ahmed Al-Arna`out, Turki Mustafa, House of Revival of Heritage, Beirut, 2000.
21. The Deaths of Notables and the News of the Sons of Time, Shams al-Din Ibn Khallikan (d.681 AH), edited by Ihssan Abbas, Dar Sader, Beirut, 1994 AD.